جامعة الأزهر

كلية البنات الإسلامية بأسيوط

الخطابُ القرآنِي: دراسة حجاجيّة لقصة سيدنا سليمان-عليه السّلام- مع ملكة سبأ

إعداد

د. زهيّة لبيض

أ.د طارق زيناي

قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، الجزائر.

المؤتمر العلمي الدولي الثاني

الحضارة الإنسانية في التراث العربي والإسلامي

أصالة الأثر.. عالمية التأثير

(في الفترة من ٨ إلى ٩ فبراير ٢٠٢٥م)

الجزء الأول

١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م

الخطابُ القرآنِي: دراسة حجاجيّة لقصة سيدنا سليمان-عليه السّلام- مع ملكة سبأ

د. زهيّة لبيض

أ.د طارق زيناي

قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي ،أم البواقي، الجزائر.

البريد الالكتروني: zahiazahoo94@gmail.com

الملخص:

تأتي هذه الورقة لمقاربة الخطاب القرآني حجاجيًّا وبالتحديد خطاب قصّة سيدنا سليمان –عليه السّلام– مع ملكة سبأ، باعتباره خطاب تكليف ومسؤولية يقدّم مبادئ وسلوكيات جديدة بطريقة إقناعية مؤثرة، استنادًا إلى المكون اللّغوي من جانبه الحجاجي، الذي يمنح الخطاب القرآني بعدًا إقناعيًّا، ما يجعل السّامع يخضع لتعليمات القصّة، وبالتالي بناء وعيّ حضاري لدى السّامعين.

وستتضح هذه الفكرة أكثر فأكثر عندما نعرض دراسة تطبيقية فعليّة تعكس تجليات الحجاج لاسيما في المكون اللّغوي في القصة وفي استعراض مختلف الآيات وتحديد مواضع الحجاج فيها ممّا ساهم في تحقيق الاقتناع.

وبناء على ذلك، فإن المداخلة تحاول أن تطرح إشكالية وتجيب عنها مفادها:

ما المقصود بإعجاز الخطاب القرآني؟ وما حاجتنا للقصة القرآنية؟ وما الآليات الحجاجية اللّغوية الحاضرة في قصة سيدنا سلميان مع ملكة سبأ؟

من هذا التصور المعرفي جاءت المداخلة في خمسة محاور:

أولا: الخطاب القرآني: المفهوم وتجليات الإعجاز.

ثانيا: القصص القرآني وأهم أنواعه.

ثالثا: ضرورة القصص القرآني في بناء الوعي الإنساني.

رابعا: قواعد منهجية لقراءة القصص القرآني.

خامسا: دراسة حجاجية لغوية لقصة سيدنا سليمان-عليه السلام-مع ملكة سبأ.

وأخيرا نتائج الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الخطاب القرآني؛ القصة القرآنية، الروابط الحجاجية؛ العومل الحجاجية.

The Quranic Discourse: A Rhetorical Study of the Story of Prophet Solomon (PBUH) and the Queen of Sheba

Dr. Zahia Labied
Professor Dr. Tariq Zinai
Faculty of Arts and Languages, Department of Arabic Language and Literature, University of Larbi Ben Mehidi, Oum El Bouaghi, Algeria
Email: zahiazahoo94@gmail.com

Abstract:

This paper aims to analyze the Quranic discourse rhetorically, specifically the story of Prophet Solomon (PBUH) and the Queen of Sheba, considering it as a discourse of responsibility and duty that presents new principles and behaviors in a persuasive manner. It relies on the linguistic component of its rhetorical aspect, which grants the Quranic discourse a persuasive dimension, making the listener adhere to the directives of the story and consequently fostering a cultural awareness among the audience.

This idea will become clearer as we present a practical study reflecting the rhetorical manifestations, particularly in the linguistic component of the story, by reviewing the various verses and identifying the points of rhetoric within them, which contributed to achieving conviction.

Based on this, the paper attempts to address and answer the following questions:

What is meant by the miraculous nature of the Quranic discourse? What is our need for the Quranic story? What are the rhetorical linguistic mechanisms present in the story of Prophet Solomon with the Queen of Sheba?

To answer these questions, the paper is structured into five main sections:

1. **Quranic Discourse: The Concept and Manifestations of Miracles.**
2. **Quranic Stories and Their Main Types.**
3. **The Necessity of Quranic Stories in Building Human Awareness.**
4. **Methodological Rules for Reading Quranic Stories.**
5. **A Rhetorical Linguistic Study of the Story of Prophet Solomon (PBUH) and the Queen of Sheba.**

Finally, the paper concludes with the study's results.

Keywords: Quranic Discourse, Quranic Story, Rhetorical Links, Rhetorical Elements.

مقدّمة

إن الخطاب القرآني رسالة سماوية ومرجع المؤمن يأوي إليه لينهل من معينه الصافي ما يثبت قلبه من اليقين ويثلج صدره من البراهين، فقد جاء يشكل بناءً تواصليا مفتوحا على الإنسان يُصلح ويَصلح لكل زمان ومكان، متخذا من استراتيجية الإقناع سبيلا في استقطاب الإنسان نحو الدين الإسلامي.

وقد جاء الإقناع في الخطاب القرآني بعدّة صور؛ أحيانا في شكل مناظرة، وأحيانا أخرى في شكل مثل وحكمة وغيرها، وفي بعض الأحايين في شكل قصة، وستكون هذه الأخيرة -بإذن الله- محل دراستنا. لكونها عملا فنيا قائما بذاته، بل هي جزء من القرآن الكريم ووسيلة من وسائله التعبيرية تسعى للإبلاغ عن الدعوة الإسلامية والتنبيه على سنن الله في الكون.

إذن يتعلق الأمر، بمقاربة الخطاب القرآني القصصي حجاجيا باعتباره خطاب تكليف ومسؤولية يقدم مبادئ وسلوكيات وأخلاق جديدة بطريقة إقناعية مؤثرة، استنادًا إلى المكون اللّغوي لا من الجانب الاتساقي والانسجامي، بل من جانبه الحجاجي، الذي يمنح خطاب القصة القرآنية أسُسَها المعرفية وآلياتها الإقناعية، ما يجعل السامع يخضع لها وينقاد لأطروحاتها.

من هذا المنطلق، جاءت دراستنا لتنظر في الخطاب القرآني من خلال البحث في القصص القرآني كخطاب حجاجي يحتاج إلى إبراز حجاجيته بل إعجازه.

لذا، بدأت الضرورة لإعطاء قصة سيدنا سليمان -عليه السلام- مع ملكة سبأ عناية أكبر وأوسع وأدق في جانبها الحجاجي والإقناعي، لأن موضوع القصة لم ينل من الدراسة الحجاجية ما يكفي للإفصاح عن باقي الوجوه الإعجازية للخطاب القرآني. ولأن قراءتنا هي محاولة لاكتشاف العبرة التي تستبطنها الأحداث فالقصة ليست مجرد عرض وسرد وإنما تحليل معمق لهذه القصة.

إن المنهج المتبع في تحليل آيات قصة سيدنا سليمان مع ملكة سبأ هو المنهج التداولي الحجاجي، والذي نسعى من خلاله إلى تحليل الخطاب القرآني تحليلاً تداوليا بالارتكاز على الجانب الحجاجي في المواد أو الآليات اللغوية بالوقوف على تحليل السلم الحجاجي والروابط والعوامل الحجاجية الظاهرة في القصة وسنقتصر على جملة منها.

وبناء على ذلك، فإن المداخلة تحاول أن تطرح إشكالية وتجيب عنها مفادها:

ما المقصود بإعجاز الخطاب القرآني؟ وما حاجتنا للقصة القرآنية؟ وما الآليات الحجاجية اللّغوية الحاضرة في قصة سيدنا سلميان مع ملكة سبأ؟

من هذا التصور المعرفي جاءت المداخلة في خمسة محاور:

أولا: الخطاب القرآني: المفهوم وتجليات الإعجاز.

ثانيا: القصص القرآني وأهم أنواعه .

ثالثا: ضرورة القصص القرآني في بناء الوعي الإنساني .

رابعا: قواعد منهجية لقراءة القصص القرآني .

خامسا: دراسة حجاجية لغوية لقصة سيدنا سليمان-عليه السلام-مع ملكة سبأ.

أولا: الخطاب القرآني
المفهوم وتجليات الإعجاز

١- مفهوم الخطاب القرآني:

الخطاب القراني هو «الوحي المنزل من عند الله على رسوله محمد بن عبد الله خاتم النبيين المنقول عنه وهو آخر الكتب السماوية نزولا»،[١] بعبارة أخرى؛ إن الخطاب القرآني كلام الله أوحاه إلى نبيه محمد-ﷺ-ليكون منهاجًا لهذه الأمة المباركة تسير على نهجه وليكون دستورًا لها تحتكم إليه في كل شؤونها.

٢- الإعجاز في الخطاب القرآني

إن كلمة الاعجاز توحي في مضمونها أنّها تحمل سمات خاصة يتميز بها الخطاب القرآني تجعله يعلو ويتفوق عن باقي الخطابات، وسنحاول أن نقدم تفصيل موجز عن بيان الإعجاز في القرآن الكريم.

الإعجاز هو إثبات العجز، والمراد بالإعجاز في القرآن الكريم إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة، بإظهار عجز العرب عندئذ عن معارضته في معجزته وكذلك عجز الأجيال القادمة من بعدهم إلى ما شاء الله تعالى[٢].

ولقد اختلفت الآراء في إعجاز القرآن الكريم،

أحدهما قال: إن إعجاز القرآن كان بالصرفة أي؛ أن الله تعالى صرف العرب عن معارضته مع قدرتهم عليها، وكان هذا رأي أبي إسحاق إبراهيم النظّام، والمرتضى من الشيعة وهو قول يدل على عجز ذويه. وإنّما المعجز حقا هو قدرة الله تعالى المنزل لهذا

---

(١) عفيف عبد الفتاح طباره، روح الدين الاسلامي عرض تحليل أصول الإسلام وآدابه وأحكامه تحت ضوء العلم والفلسفة، دار العلم للملايين، لبنان، ط ١٤، ١٩٧٧ ،ص ١٨.

(٢) محمد أحمد محمد أعبد، نفحات من علوم القرآن، دار السلام، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٥، ص١٠١.

الكتاب بلغتهم وبحروف اللّغة العربية التي يجيدونها ويتبارون في صناعتها ويتسابقون في بلاغتها دون أن يصرفهم عن الإتيان بمثله لو استطاعوا[١]

-والوجه الثاني: يتضمن الإخبار عن الغيوب وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليه فمن ذلك ما وعد الله تعالى نبيه عليه السلام أنه سيظهر دينه على الأديان[٢]، وبالتالي إذعان الناس و إيمانهم بصاحبها أنّه رسول من عند الله

- الوجه الثالث: أنه كان معلومًا من حال النبي – ﷺ – أنه كان أميّا لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ ثم أتى بجمل ما وقع وحدث من عظمات الأمور ومهمات السير[٣]

- الوجه الرابع: أن الخطاب القرآني بديع النظم ،عجيب التأليف ، منتهاه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه والذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز.[٤]

نجمل القول عن إعجاز الخطاب القرآني في كونه المعجزة الخالدة التي تفوق كل معجزات الأنبياء السابقة وتغني عنها، لما يحويه من وجوه إعجازية عدة وهي: إثبات الحقائق الإيمانية، تقديم مجموعة من القيم الإسلامية ؛ وذلك باستعمال النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب ، وكذلك الأسلوب العجيب المخالف لجميع الأساليب العربية و الإخبار عن الغيب الذي لا يمكن معرفته إلا عن طريق الوحي، ووفاؤه بحاجات البشر على مدى الأزمان.

فالخطاب القرآني: هو المعجزة التي لا يزيدها التقدم العلمي إلا رسوخا في الإعجاز.

---

(١) المرجع نفسه، ص١٠٣

(٢) البقلاني، إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٩٨، ص ٣٣.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٥.

(٤) المرجع نفسه، ص ٣٨.

ثانيا: القصص القرآني وأهم انواعه

لم يغفل القرآن أيّا من أشكال التعبير النثري التي تحقق أهدافه وغاياته السامية كالمثل القرآني والقصة القرآنية والحوار والمناضرة والحكمة؛ لأن البشر يختلفون في طبائعهم واستعدادتهم وقناعاتهم فمنهم من يتأثر بالقصة ، ومنهم من يأخذ بالمثل ومنهم من تقنعهم البراهين والحجج العقلية ، ومنهم من يتأثر بالصور البلاغية والأساليب الإنشائية، وسنركز في دراستنا هذه على أسلوب القصة القرآنية كوجه معجز ببيانه وبلاغته حاضر في الخطاب القرآني بقوة، وسنعقد تعريفا لها ونظهر أهم أنواعها.

١- تعريف القصص القرآني:

القص: هو تتبع الأثر، يقال قصصت أثره: أي تتبعته، والقصة هي الأمر، والخبر، والشأن، والحال. والقصص القرآني أخبار عن أحوال الأمم الماضية والنّبوات السّابقة والحوادث الواقعة ، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي وتاريخ الأمم وذكر البلاد والديار وتتبع آثار كل قوم وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه [١]

والقصص ضرب من ضروب الأدب، ونوع من أنواع العبر، يصغي إليه السمع وترسخ عِبره في النفوس البشريّة قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)﴾ يوسف [١١١]

بعبارة أخرى يمكن القول: إنّ القصص القرآني هو بمثابة مرآة ترى فيها الدّعوة المحمدية نفسها ماضيها وحاضرها ومستقبلها عبر تاريخ الأنبياء والرّسل[٢].

---

(١) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧، ١٩٩٥، ص ٣٠٠.

(٢) محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم في التعريف بالقرآن، مركز دراسات الوحدة العربية، ج١، بيروت، ص ٤٤٧.

وقد ورد كلمة "القصص" في الخطاب القرآني في صورة الماضي أربع مرات، وفي صورة الفعل المضارع أربع عشرة مرة، وفي صورة فعل الأمر مرتان وفي صيغة القصص ست مرات، والقصص القرآني نوع خطابيّ بل نوع من القصص الملتزمة ووسيلة من وسائل الدعوة المحمدية جاءت لإثبات أصول الدين الاسلامي، وزرع مبادئه في النفوس والعقول ونفي كل العقائد الباطلة التي كان يدين بها أهل الكتاب والمشركين وغيرهم، فقد كانت من أهم الوسائل الإقناعية التي لجأ إليها القرآن في محاجة مخالفية وإلزامهم وإفحامهم.

٢- أنواع القصص القرآني:

في القرآن ثلاثة أنواع من القصص وهي:

- **قصص الأنبياء:** وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم والمعجزات التي أيدهم الله بها وموقف المعاندين منهم ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين كقصص سيدنا نوح، وسيدنا إبراهيم، وسيدنا موسى، وسيدنا هارون، وسيدنا عيسى، وسيدنا محمد وغيرهم من الأنبياء والمرسلين عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام.
- **قصص القرآني يتعلق بحوادث غابرة وأشخاص لم تثبت نبوتهم:** كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهو ألوف حذر الموت، وطالوت وجالوت، وابنى آدم ، وأصحاب الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود وأصحاب الفيل ونحوهم
- **قصص تتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله:** كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران وغزوة حنين وتبوك في التوبة وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب والهجرة والإسراء ونحو ذلك، تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم، اظهارا لصدق محمد –صلى الله عليه وسلم–في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين، مقارعته أهل

الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى وتحديهم لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل[1]

والقصص القرآني واحد من أهم القصص التي تحقق إيضاح الدعوة وتسعى بكل أنواعها إلى تثبيت قلب النبي –عليه الصلاة والسلام– على الدعوة، ولا تأتي القصة في القرآن الكريم إلا ما كان أشد تجاوبا مع بيئة الدعوة وأهدافها وتختلف أشكالها فأحيانا تكون مناظرة وأحيانا أخرى حوار وفي بعض الأحايين مثلا أي بحسب السياق والموقف الذي يستدعيها.

(١) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق، ص ٣٠١.

ثالثا: ضرورة القصص القرآني في بناء الوعي الإنساني

إن القصص القرآني له أثر كبير في تشكيل الوعي الفردي والجماعي، حيث يسهم في بناء الإنسان المستخلف من خلال توجيهه نحو القيم المرجوة والسلوكات المطلوبة ويعزز الهوية الدينية، وعليه تظهر حاجتنا للقصة القرآنية من خلال معرفة العبرة منها فهي تعد نموذج خالد تقاس عليه تصرفات الإنسان المستخلف وتوضح الرؤية للمتلقي، ونوجز القول في أن ضرورتها تكمن في:

-أن الوقوف مع القصص القرآني يحقق ثبات الفؤاد على الحق.

- أن القصص القرآني يقدم الزّاد والعدّة للناس والمعرفة والفائدة ويمنحهم الوعي والبصيرة ويشحذ هممهم.

- أن القصص القرآني يرفع معنويات الناس ويسمو بنفوسهم ويصوب مسيرتهم وحركتهم.

-أنه يحقق الهدف الإيماني والجهادي الدعوي الحركي، لأننا نعيش معركة قوية بين الحق والباطل(١).

- إن هذه القصص تحقق الحرية الإنسانية في إعمال معارفها المكتسبة لضمان مستوى تطوري أرقى ويحد تعاملاته مع واقعه وقد وصف القصص بالحق لكون الأحداث التاريخية التي وردت فيه هي التي جاءت خاضعة للقوانين المادية الناظمة للوجود لأنها جاءت عرضا لأحداث وقعت بالحق(٢)

(١) صلاح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ج١، دار القلم، دمشق، الدار الشامية بيروت، ط&، ١٩٩٨، ص ٣٦

(٢) محمد شحرور، القصص القرآني قراءة معاصرة، مدخل إلى القصص وقصة آدم، مج ١، مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١٠، ص ١٩٩.

- إن القصص القرآني هو "أحسن القصص" للإضافة المعرفية التي يضيفها إلى الرصيد المعرفي للإنسان وفق قراءة كل عصر وهذا هو سرّ تشابهه لأنه يسمح للإنسان بالعبور من حسن إلى أحسن في مسيرته التاريخية الخاضعة لإرادته كمحرك لعجلته فهذه الإرادة هي المنتجة لفعله الحر الواعي المسؤول وهذه المسؤولية هي التي تحدد مفهوم خلافته للأرض وتجعله يستحق تسيير تاريخه بإرادته وتؤكد على فاعليته فيه لذا فكلما تطور الإنسان في معارفه تطورت منظومته الأخلاقية وأصبح أكثر قدرة على تطوير حياته الاجتماعية.

- لا يمكن القول بأن التاريخ الإنساني خاضع للقوانين الموضوعية الناظمة للوجود فهذه القوانين المادية الموضوعية هي "كلمات الله" وبالتالي فهي حتمية لأنها لا تدخل في قدرة الإنسان بل الإنسان خاضع لها كلية ككائن موجود في هذا الوجود وطبيعة الوجودية المادية هي الخاضعة لهذه القوانين أما وجوده الإنساني كفكر فيدخل في اطار حريته الفردية والجماعية وبالتالي فكلما زادت معارف الإنسان بات أكثر تحررًا من حصار القوانين الموضوعية الناظمة للوجود وأنشأ مجتمعا أكثر تحضرا[1].

- المصدر الذي تستقى منه أحداث وشخصيات القصة القرآنية هو الكون والتاريخ والمتلقي الذي توجه له القصة القرآنية هو نفسه محورها وهو الانسان الذي تساق له القصة القرآنية نورا لعقله وقلبه وتهذيبا لمسلكه.

- القصة القرآنية ليست عرضا مجردا لحقائق التاريخ بل هي انتقاء لجوانب من التاريخ إيجابية أو سلبية، ولذا نجدها تركز على الرقي المادي وأسباب القوة لأن هذه المادة عنصر أساسي للانسان[2].

من هذا المتاح المعرفي، نخلص إلى أن القصص القرآني يشكل ضرورة حتمية لا بد من تعلمه والتفكر فيه وتدبره لكونه يوفر نماذج إيجابية، وذلك من خلال تقديم تجارب

(١) المرجع نفسه، ص ٢٠١.

(٢) فضل حسين عباس، قصص القرآن الكريم، دار النفائس، الأردن، ط٣، ٢٠١٠، - ٤٦- ٤٥

الأنبياء والأمم السابقة، ورواية أحداث تحمل دروسا تتعلق بمختلف مواقف الحياة، مما يشكل رؤية مشتركة بين الأفراد ويعزز من التلاحم الإجتماعي وبالتالي تشكل وعي إنساني منظم ومتوازن يقدّر القيم العليا.

ليس هذا فحسب فهي تعمل على تحفيز العقل على التأمل والتفكر والبحث عن المعاني العميقة في الحياة الفردية وتطبيقها في السلوكات اليومية، وعندما يحسن الناس التعامل مع القصص القرآني فإنهم يحسنون التعامل مع مراحل حياتهم ما يحقق لهم الفلاح في الدارين وتبقى وظيفة القصص مقتصرة على تبيان هذا التفاعل وعلى تحقيق تصديق لهذه الرسالة.

رابعا: قواعد منهجية لقراءة القصص القرآني:

إن قراءتنا للقصة القرآنية أو الخطاب القرآني عموما تعتمد على بعض الأطر المنهجية التي أحصينا أهمها وفق مايلي:

-إن قراءتنا للقصص هي قراءة نكتشف من خلالها قضية التراكم المعرفي والقيمي وربط هذا التراكم بدور الوحي في توجيهه وكذلك عمل الوحي على تطوير الضمير الإنساني ومتطلباته التشريعية.

- لا بد حين نقرأ القصص أن نربط بين المعجزة وطبيعة النسق الثقافي وسبب التدخل الإعجازي في حركية التاريخ، فهذه المعجزات لا يمكن أن تكون بعيدة عن النسق الثقافي وإلا لم يكن لها الأثر المطلوب.

- إن اكتشاف البنيات الرئيسة لتشكل الوعي الإنساني عبر التاريخ وإعادة تصحيح المفاهيم التي تركب عليها، هي الخطوة الأولى في إطار فهم الإنسان وعلاقاته مع الآخرين ومن ثم تصحيح الوعي الجمعي الإنساني من خلال مراجعة نقدية للتاريخ الإنساني

- تقوم القراءة المعاصرة للقصص أيضا على فهم الربط بين وعي الإنسان بذاته وبالآخر وبالمقدس وبين نضج كينونته القادرة على توليد تشريعاته من خلال هذا الوعي الذاتي مع معرفة ما كان للوحي من دور في تصحيح انحرافات هذا الوعي[1]

- إن اكتمال دور الوحي لا يشترط فقط إلى اكتمال مرحلة الرشد الإنساني وإنما إلى تغير العلاقة بين الإنسان والوجود المبنية على صيرورة تطور الوجود المادي وصيرورة تطور الوعي الإنساني وتغير دور الغيب في عالم الشهادة من خلال صيرورتي التطور للوجود والإنسان .

---

(١) محمد شحرور، القصص القرآني قراءة معاصرة، مدخل إلى القصص وقصة آدم، ص ١٨٣

-تتمثل قراءة المعجزة في اطار الممكن الإنساني المستقبلي فهي عبارة عن قفزة معرفية في تطويع قوانين الطبيعة[1].

ومن ثم فإن قراءتنا للقصص القرآني هي محاولة لفهم علاقة النماذج التشريعية التي جاء بها الخطاب القرآني من وقائع وأحداث سجلت في القصص القرآني، ونأخذ بالعبر من أجل تأسيس قراءة واعية علمية واضحة من خلالها يؤسس الإنسان مفاهيم نفعية تخدمه في عصره، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦)﴾ الأعراف [١٧٦]

والتذكر لا يكون بعملية استرجاع آلية ميكانكية عمياء دون تدبر وتحليل وتفكر في القصص القرآني، لذا فإن مهمة القراءة في الخطاب القرآني عموما وفي القصص خصوصا نراها مفيدة لنا في إطار ما يطرحه التنزيل الحكيم، وذلك من خلال تفعيلنا لفهم جديد لكل ما يتعلق بما أشار إليه التنزيل حول الاعتبار بالقصة والتذكر والتفكر والتدبر.

(١) المرجع نفسه، ص ١٨٤

خامسا:الدّراسة الحجاجية اللّغوية لقصة سليمان-عليه السلام- مع ملكة سبأ.

يقصد بالحجاجي اللّغوي في الخطاب تلك النظرية التي وضع أسسها العالم اللغوي الفرنسي أزفالد ديكرو والتي تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما بحيث تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية والفكرة المحورية في هذه النظرية هي "أننا نتكلم عامة بقصد التأثير"(١)، هذه النظرية تبين أن الخطاب يحمل بصفة جوهرية وظيفة حجاجية لما يقدّمه من حجج مؤدية إلى نتيجة محددة بواسطة المواد اللغوية الموجهة إلى إحداث التأثير والإقناع في السامع.

ونقصد بالدراسة الحجاجية اللغوية لقصة سيدنا سليمان-عليه السلام- تتبع الأبعاد الحجاجية الحاضرة في القصة بالاعتماد على مجموعة من الركائز اللّغوية من؛ سلالم حجاجية وهي محور الحجاج عند ديكرو فضلا عن مجموعة من الروابط والعوامل الحجاجية المتنوعة في القصة القرآنية مع ذكر دور الأساليب الانشائية ودورها الحجاجي في الإقناع، وسنقف في هذه القصة على حجاجية الحوار الذي دار بين سيدنا سليمان وبين النمل، ثم بينه وبين الهدهد، ثم بينه وبين ملكة سبأ على المستوى الحجاجي اللّغوي. وسنعتمد على دراسة القصة القرآني بالشكل الآتي:

١- السلم الحجاجي:

السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز له كالتالي:

(١) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، منتديات سور الأزبكية،ط١، ٢٠٠٦، ص ١٤.

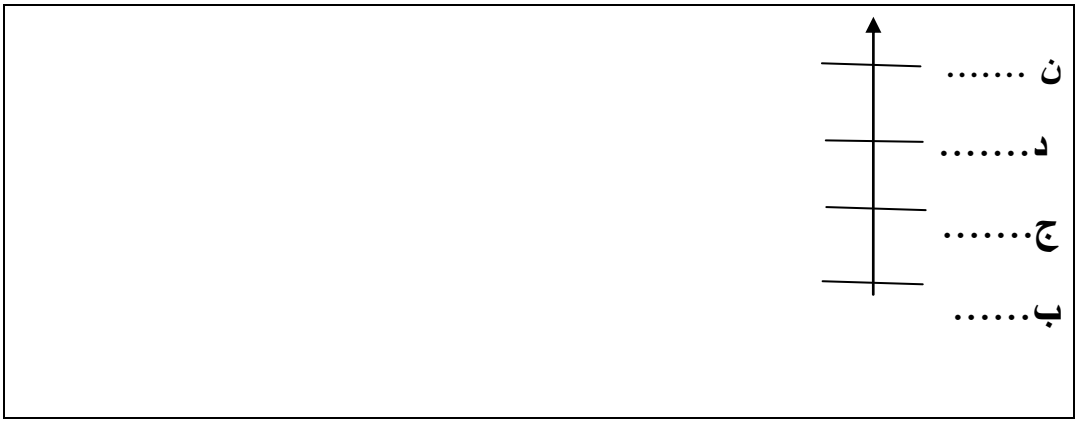

ن= النتيجة، "ب" و"ج" و"د" حجج وأدلة تخدم النتيجة "ن"

فعندما نقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما، علاقة تراتبية معينة، فإن هذه الحجج تنتمي إذاك إلى نفس السلم الحجاجي، ويتسم بالسمتين الآتيتين:

- كل قول يرد في درجة ما من السلم، يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة للنتيجة.

-إذا كان القول "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن" فهذا يستلزم أن "ج" أو "د" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها[1]، ونجد السلم الحجاجي واضح في قوله تعالى:﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) ﴾النمل [٣٧-٤٠]، ونمثل لهذا الخطاب القرآني بالسلم الحجاجي كما يلي:

(١) المرجع نفسه، ص ص ٢٠-٢١.

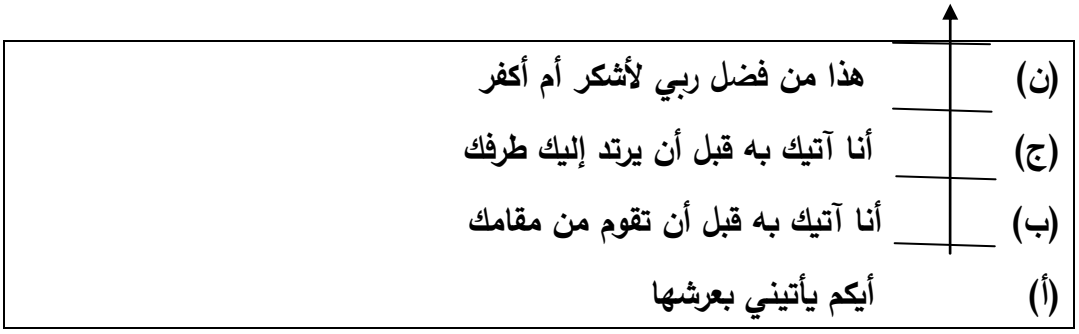

وهنا يتضح أن الحجة "ج"(أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) هي الحجة الأقوى مقارنة بالحجج التي سبقتها"ب"(انا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك)"أ"(أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) لخدمة النتيجة المعروضة"ن" في أعلى السلم الحجاجي وهي: واجب شكر الله عند النعم.

فالقصة القرآنية تقدم القولين(أ) و(ب) لاعتبارهم حجتين لفائدة النتيجة، ولكن إذا نظرنا في العلاقة بين (أ) و(ب) فإن القصة تعتبر الحجة (ب) أقوى من الحجة(أ) بالنسبة إلى (ب) فالتدرج في الأقوال والحجج مبني على ما تقيمه هذه الحجج فيما بينها من علاقات نتائج واستلزام بعضها للبعض.

نستنتج من السلم الحجاجي الظاهر في القصة القرآنية أن هناك تلازما بين الحجة ونتيجتها، ولكن الحجة والنتيجة في تلازمهما يعكس تعدد الحجة في مقابل النتيجة الواحدة على أساس أن هناك تفاوتا من حيث القوة فيما يخص بناء الحجج وترتيبها، وهذا هو منطق نظرية السلميات الحجاجية والتي تهتم بأن الحجة لا تكون حجة إلاّ بإضافتها إلى النتيجة التي توصلنا إليها"شكر الله على النعم". والهدف الحجاجي لهذه القصة هو إظهار سيدنا سليمان فضل الله عليه وما آتاه من علم وملك عظيم.

ومثيل السلم الحجاجي ما نقرأه في الآية التالية:

قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤)﴾ النمل [٢٣-٣٥]

ليؤكد الهدهد خطابه وإقراره لحقيقة ملكة سبأ وعرشها والدفاع عن نفسه أمام سيدنا سليمان جاء خطابه مبني على السلمية التالية :

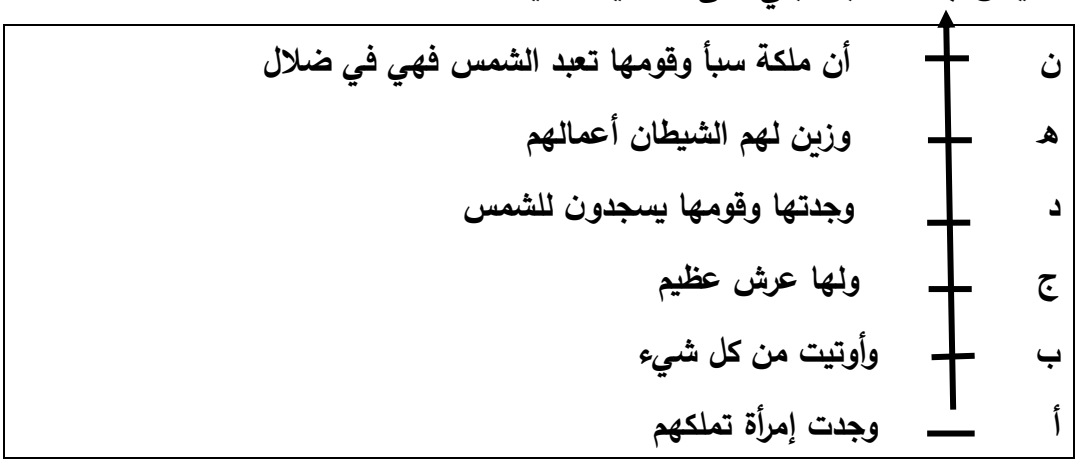

جاء كلام الهدهد مرتب ومنظم حيث بدأ بحجة بسيطة(أ)(وجدت إمرأة تملكهم) تتدرج إلى متوسطة(ب)(أوتيت من كل شيء عظيم)، إلى حجة أقوى(ج)(لها عرش عظيم)، إلى حجة أقوى من السابقة(وجدتها تسجد للشمس) إلى حجة أقوى من الحجج السابقة كلهم(د) (زين لهم الشيطان أعمالهم) لخدمة النتيجة(ن) أن ملكة سبأ وقومها تعبد غير الله فهي في ضلال مبين، ليكون بذلك قد برأ نفسه من العقاب ودافع عن موقفه بالاعتماد على السلالم حجاجية مقنعة، ليس هذا فحسب، بل جاء بعلم لم يكن سيده سليمان على علم به، وبالتالي توجه سيدنا سليمان بالتواصل معها عن طريق الهدهد ليثبت خبر الهدهد.

٢- الروابط الحجاجية في القصة:

لما كانت للغة وظيفة حجاجية، وكانت التسلسلات الخطابية محددة بواسطة الأقوال اللّغوية التي تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلاّ بالإحالة على قيمتها الحجاجية، نذكر من هذه الروابط: لكن، بل، إذن ، حتى، لا سيما، إذ، لأن، بما أن، مع ذلك، تقريبا، ما... إلا، الفاء، ثم وغيرها[١]. يقرّ موشلار وريبول بأن الخاصية الأساسية للعلائق الحجاجية هي أن تكون سلمية وتراتبية وسبب نعتها بهذه الصفة إنما هو ما يوفره العامل الحجاجي من تقويته للحجة حتى يجعلها غير متساوية قوة وضعفا تأثيرا وبالتالي يكون العامل الحجاجي هو المحرك للعلائق الحجاجية داخل الملفوظ في ذاته وداخل القسم الحجاجي حتى ينزل الملفوظ في درجته الحقيقية من السلم الحجاجي فيكون أقرب تحقيقا للمفهوم والنتيجة[٢]، ولبيان هذا الأمر نحلل قصة سيدنا سليمان وفق الروابط والعوامل الحجاجية:

- **الرابط الحجاجي(بل):**

الصرفم "بل" يستعمل للإبطال والحجاج وله حالتان:

أولا: أن يقع بعده مفرد

ثانيا:أن يقع بعده جملة، ويمكن أن نوضح مخططه بهذا الشكل:

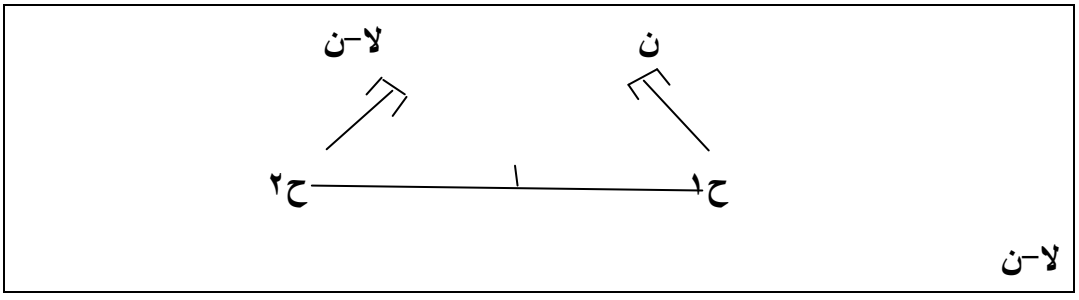

(١) عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبو علاء الدين للنشر والتوزيع، تونس، ط١، ٢٠١١. ص١٣٣.

(٢) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

حيث"ح١" و"ح٢" يشيران إلى الحجج و"ن" تشير إلى النتيجة التي تخدمها هذه الحجج و"لا-ن" تشير إلى النتيجة المضادة للنتيجة السابقة "ن"، والرمز ⊣ ، يشير إلى العلاقة الحجاجية ومنه، فالرابط الحجاجي"بل" يربط بين الحجج والنتائج والنتيجة المضادة"لا- ن" التي ستصبح نتيجة القول برمته، لأن الحجة التي بعد"بل" أقوى من الحجة التي ترد قبلها[1]، ونجد العامل "بل"واضح في قَوله تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ﴾النمل [٣٦]

ونحن إذا أردنا أن ندرس الرابط الحجاجي (بل) أمكن لنا توضيحه كما يلي:

(ن) والله أتاني خيرا مما آتاكم (لا-ن) سليمان عليه السلام يرفض الهدية

(ح١) اتمدوني بهدية ⊣ (ح٢) أنتم بهديتكم تفرحون

(لا-ن)

فالرابط الحجاجي(بل) قد ربط بين الحجج والنتائج؛

الحجة الأولى: أتمدوني بمال فما أتاني الله خير مما أتاكم

الرابط الحجاجي: بل

الحجة الثانية: أنتم بهديتكم تفرحون

النتيجة: الله أتاني خيرا مما آتاكم من العلم والملك والنبوة

النتيجة المضادة: رفض الهدية

وأصبحت النتيجة المضادة هي نتيجة الآية برمتها، ولأن الحجة التي ترد بعد الرابط (بل) أقوى من الحجة التي ترد قبلها في إفادة المعنى الكلي وإقامة الحجة لكون سيدنا

(١) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص ٦٢-٦٣.

سليمان ردّ عليهم بأن ما آتاه الله خير من هديتهم، فلا حاجة لي بهديتكم بل أنتم الذين تنقادون للدنيا وإنما أطالبكم بالدخول في دين الله وحده وترك عبادة الشمس، فقد ساهم الرابط الحجاجي "بل" في إقناع الملكة وقومها بالدعوة والاستسلام لسليمان-عليه السلام-.

- الرابط الحجاجي (حتى):

العامل "حتى" في الخطاب يساعد على تقوية إيقان المتقبل بالنتيجة بل إن العامل قبل ذلك يرسم له صورة المسلك الذي ينبغي عليه أن يقطعه للوصول إلى النتيجة وهو في أثناء ذلك كله يقوي النتيجة التي يروم الملفوظ إيصالها"[1]، وتظهر عملية التقوية للحجة في حركة التوجه الذي تقوم به"حتى" في إخراج الملفوظ من العام إلى الخاص ومن الكل إلى الجزء وفي هذا التمشي رفع للغموض وتعدد المفاهيم، وتتجلى وظيفة العامل في القضاء على الغموض وحصر النتيجة حصرا[2]، ومن خلال قراءة ديكرو الذي يعتبر الخطاب أو الملفوظ ذا قوة حجاجية يوفرها الصرفم"حتى" وذلك أن هذا الصرف يساهم في تقطيع الملفوظ إلى مقطعين لكل منها درجة في السلم الحجاجي، وسوف نشرع في بيان القوة الحجاجية التي يتيحها هذا الرابط الذي توفر في قوله تَعَالَى: ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) ﴾ النمل [٢٣-٣٥]

تجسد الحجاج اللغوي في محاججة ملكة سبأ لعرشها ويتضح هذا في إرادتها معرفة موقفهم ورأيهم قصد توضيح الرأي من دعوة سيدنا سليمان -عليه السلام-، قالت بلقيس لأشراف قومها وخاصتهم، أيّها الملء أشيروا علي بالرأي في هذا الأمر، حتى تشهدون أي "حتى تحضروني أي بمحضركم وقد استعطفتهم بذلك، وهذا دال على

(١) عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مرجع سابق، ص ١٣٤.
(٢) المرجع نفسه، ص ١٣٦.

حسن سياستها ورشادها وحكمتها فإنها استعطفتهم ليعينوها على اتخاذ الرأي الأفضل والأصوب"[1]

يتعلق الأمر، في هذه الآية بالعامل "حتى" الذي يربط بين حجتين تخدمان نتيجة واحدة حيث إن:

الحجة الأولى: أيها الملأ افتوني في أمري

الرابط الحجاجي: حتى

الحجة الثانية: ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون.

النتيجة: انقيادهم واستسلامهم لأمر المكلة والايمان بدعوة سليمان-عليه السلام-

فما يوجد قبل "حتى" يمكن اعتباره حجة أولى وما يوجد بعد "حتى" حجة ثانية لكن الفرق بينهما أن الحجة الثانية أقوى من الأولى لعلاقة الرتبة المنطقية التي تجمعهما، فيتمثل دور هذا الرابط في ادراج حجة جديدة ترادف التي تسبقها وتخدمان نتيجة واحدة لكن بدرجات متفاوتة.

فالرابط (حتى) جاءت على لسان الملكة لغاية حجاجية إقناعيّة، حيث إن الملكة تقدم حجج لبيان أمر مشاركتها لقومها في الأوامر كي تقنعهم بوجهتها وهي الاستسلام لدعوة سيدنا سليمان -عليه السلام-

- روابط الوصل الواو، الفاء:

الرابط الحجاجي (الفاء) من حروف العطف التي تضطلع بوظيفة حجاجية، إذ يربط بين الحجة والنتيجة من أجل التفسير والتعليل ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ

(١) وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، آفاق معرفة متجددة، دار الفكر، دمشق،ط ١٠، ٢٠٠٩، ص ٣٢٠.

لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢)﴾النمل [٢٠-٢٢]، ويفسر لنا (ابن عاشور) أن الهدهد مكث زمنا غير بعيد أو في مكان بعيد وكلا المعنيين يقتضي أنّه رجع إلى سليمان بعد زمن قليل وهذا وجه إيثار التعبير بغير بعيد لأن غير تفيد دفع توهم أن يكون بعيدا وإنما يتوهم ذلك إذا كان القرب يشبه البعد، والبعد والقرب حقيقتهما من أوصاف المكان ويستعار لقلة الحصة بتشبيه الزمن القصير بالمكان القريب وشاع ذلك حتى ساوى الحقيقة.(١)

ونلاحظ أن الرابط الحجاجي(الفاء) قد ورد هنا لتفريع الحكاية وعطف جملة على جملة كما ربط بين الحجج والنتيجة فكان ما بعدها من حجة قد علّلت وفسرت النتيجة حيث تظهر:

الحجة ١: ما لي لا أرى الهدهد

الحجة ٢: لأعذبنه عذابا شديدا

الرابط الحجاجي: الفاء

النتيجة: أحطت بما لم تحط به

فالرابط الحجاجي (الفاء) اضطلع بوظيفة حجاجية وأداة استنتاجية في قصة سيدنا سليمان مع الهدهد ومن ثم فهي تجمع بين حجتين للتقارب بين الأحداث وهما(مخاطبة سيدنا سليمان لجيشه قائلا: مالي لا أرى الهدهد) ثم تقديم حجة ثانية أقوى من الأولى (سأعذبه أو أذبحه أو ليأتيني بسلطان مبين)، لتكون النتيجة؛ الهدهد يأتي بأخبار عن ملكة سبأ. فنلاحظ أن الرابط الحجاجي(الفاء) قد ربط بين الحجج والنتيجة فكان ما بعدها من حجة قد عللت وفسرت النتيجة. بمعنى؛ غياب الهدهد في حضرت سيدنا سليمان سيكون جزاؤه العذاب إن لم يأتي بسلطان مبين.

(١) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٩، الدار التونسية للنشر، ص ٢٤٨.

- **الرابط الحجاجي (الواو):**

يعدّ الواو من أهم الروابط الحجاجية الظاهرة في القصة عموما ويظهر في هذه الآية الكريمة خصوصا، قال تعالى:﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩)﴾ النمل [١٥-٢٢]، هذا الخطاب أجراه الله على نملة لمعرفة عدل وتسيير سيدنا سليمان-عليه السلام- وتنبيه له لشكر ربه، وقد كان للرابط الحجاجي(الواو) دور حجاجي إقناعي، يربط بين الحجج ليؤكد النتيجة.

وَسَمَت النملة سيدنا سليمان-عليه السلام- وجنده بالصلاح والرأفة وأنهم لا يقتلون ما فيه روح لغير مصلحة وهذا تنويه برأفته وعدله الشامل لكل المخلوقات، وجاءت الآية الكريمة بمجموعة من الحجج لتبيّن في القصة فعل سيدنا سليمان-عليه السلام- مع المخلوق ومع الخالق، ونلاحظ أن الرابط الحجاجي(الواو) عمل على حصول الترادف داخل النتيجة الواحدة وهذا الرابط النسقي بين الحجج قد انخرط في سلمية باتجاه الحجة الأقوى بشكل أفقي أي على السلم الحجاجي التالي:

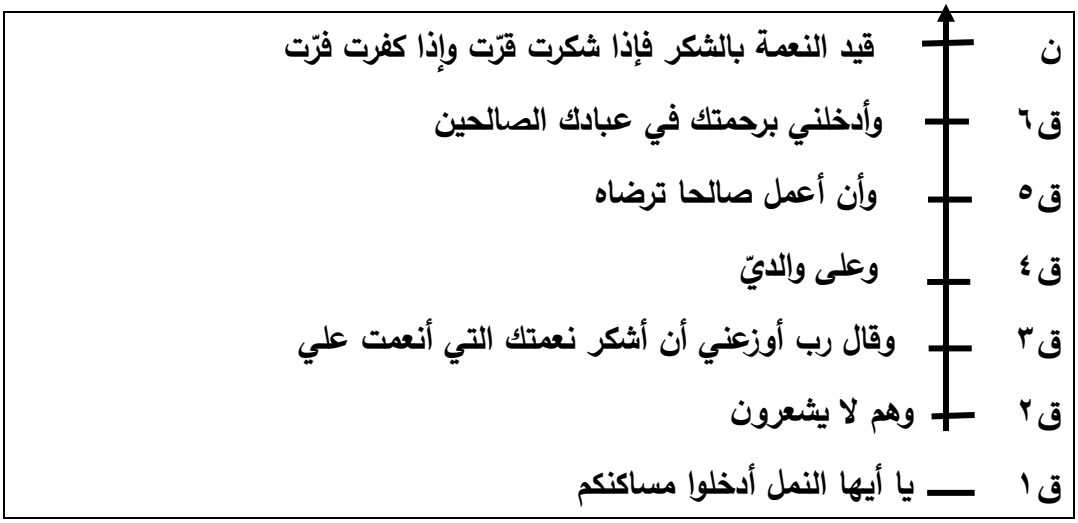

من هذا المعطى، نلاحظ أن الرابط الحجاجي (الواو) قام بالربط والوصل بين هذه الحجج وعمل أيضا على ترتيبها بالشكل الذي يضمن لها تقوية النتيجة المطروحة ودعمها من خلال تبيانه وتنويه بمنّته العظيمة على سليمان وذلك عن طريق العلم والملك الذي منحه إياه، ومجمل الحجاج هنا أنه اتضح من خلال تبيان تعلم سيدنا سليمان منطق الطير وإيتاءه الخير الكثير وتسخير الجن والإنس وفهمه خطاب النملة وأصوات الطيور والبهائم، لنصل لنتيجة أن الشكر والحمد من أجلّ العبادات. فالحجج المترادفة التي رسمت في السلم قد اتسقت وترابطت باتجاه تقوية النتيجة المطروحة ودعمها بفعل الرابط (الواو) الذي أفاد التعليل والترتيب والتفسير لمضمون النتيجة التي تقتضي نعمة العلم وغيرها شكر المنعم وحمده على فضله وإحسانه.

وهذا دليل على نعمة العلم وحدها كافية في وجوب الشكر مستحقة للحمد والثناء على المتفضل بها، ليس هذا فحسب، أيضا العمل على البر بالوالدين والدعاء لهما بعد الموت والاشتغال بالعمل الصالح.

وقد جاء هذا الرابط الحجاجي مدعما بأسلوب النداء لغرض تنبيه النملة لمجتمعها وأمره بالدخول إلى الملجأ تحذيرا من جنود سيدنا سليمان ثم الاعتذار الحسن بأنهم لا يشعرون.

- روابط الفصل: أم، أو.

من روابط الفصل كذلك رابط (أم) التي إذا استعملت في قضية الاستفهام فإن مطلعها قاطع بوقوع أحد الشيئين اللذين ردد السؤال فيهما،[1] وهي واضحة في قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾النمل [٢٠]

يحوي خطاب سيدنا سليمان الرابط الحجاجي (أم) وهي "منقطعة لأنها لم تقع بعد همزة الاستفهام التي يطلب بها تعيين أحد الشيئين، حيث لا يفارقها تقدير معنى

(١) محمود سعد، حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه، ص ١٧٢.

الاستفهام بعدها فأفادة هنا إضراب الانتقال من استفهام إلى استفهام آخر والتقدير: بل أكان من الغائبين[1]. فخطاب سيدنا سليمان خطاب حجاجي فهو يوظف رابط حجاجي (أم) في سؤاله عن غياب طائر الهدهد كما هو واضح في القصة وكأنه يسأل عن صحة ما ألح له. وتظهر الحجج كالآتي:

الحجة الأولى: ما لي لا أرى الهدهد

الرابط الحجاجي: أم

الحجة الثانية: الهدهد غائب

النتيجة: الهدهد غائب عن سيدنا سليمان-عليه السلام-.

وقد جاءت حجج سيدنا سيلمان مدعمة بأسلوب الاستفهام الحقيقي في قوله: ﴿ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ ﴾ ، والتقدير "ما الأمر الذي كان لي فالاستفهام عما حصل له في هذه الحال أي عن المانع لرؤية الهدهد"[2] ما جعل الحجة مقنعة بشكل يخدم مقاصد القصة.

ويتجلى الرابط الحجاجي (أم) كذلك في قوله تَعَالَى : ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١) ﴾ النمل [٣٦-٤٤]، المقصود من الآية أنه لما عاين سيدنا سليمان وجماعته وجود الكرسي ورآه ساكنا قائما بين يديه قال: هذا من نعم الله علي ليختبرني أأشكر بأن أراني فضلا منه بلا حول ولا قوة مني أم أجحد فأنسب العمل لنفسي[3]. فتظهر حجج هذه الآيات بالشكل التالي:

(١) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٩، الدار التونسية للنشر، ص ٢٤٦.
(٢) المرجع نفسه، ص ٢٣٣.
(٣) وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مرجع سابق، ص ٣٣٢.

الحجة الأولى: هذا من فضل ربي

الحجة الثانية: ليبلوني أأشكر أم أكفر

الرابط الحجاجي: أم

النتيجة: من شكر فلنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم

وفي الآية الموالية تتجلى الحجج في الشكل الآتي:

الحجة الأولى: نكروا لها عرشها

الرابط الحجاجي: أم

النتيجة: الملكة بلقيس تهتدي لدعوة سليمان.

من هذا المنطلق، نلاحظ أن هذه الرابط اللغوي ساهم في انسجام الخطاب وتماسكه من خلال ربطه بين القيمة الحجاجية لقول سيدنا سليمان وبين نتيجة قوله أي الربط بين الحجج وترتيب أجزاء هذه القصة ما يمنحها القوة الإقناعية، ومنه استسلام الملكة والإيمان بالله وحده لا شريك له.

- أما الرابط الحجاجي (أو) فإنه يعدّ من حروف العطف ويدخل بين اسمين أو فعلين أو أكثر فأما في الخبر فله معنى الشك من المتكلم، وهناك من يرى بأنه يفيد تخيير في الاثبات وللنفي في النفي[1]، ونجده في قوله تَعَالَى: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١) ﴾ النمل [٢١ -٢٢] من هذا المنطوق، نفهم أنه لما لاح لسيدنا سليمان أن طائر الهدهد غائب أضرب عن ذلك وقال: لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه بقطع حلقومه ليعتبر به غيره أو يأتيني ببرهان ظاهر أو بحجة بينة على عذره[2]. ويمكننا أن نحلل حجج هذه الآية الكريمة كما يلي:

(١) محمود سعد، حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه، د.ط، د. ت، ص ١٣٠.

(٢) وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مرجع سابق، ص ٣٠٩

النتيجة: حصول العقاب للهدهد إن لم يأتي ببرهان

الرابط الحجاجي: أو

الحجة: الهدهد غائب من دون إذن سيدنا سليمان.

يظهر في قول سيدنا سليمان أن الرابط الحجاجي (أو) الأول للتخيير بين فعل العذاب وفعل الذبح مؤكدا حصول ذلك للهدهد لأن خطاب سيدنا سليمان خطاب حجاجي يتغيّا الإقناع والتأثير في السامع سواء الهدهد أو الجيش، حيث إنه "أكد عزمه على عقابه بتأكيد الجملتين لأعذبنه لأذبحنه باللام المؤكدة التي تسمى لام القسم وبنون التوكيد ليعلم الجند ذلك حتى إذا فقد الهدهد ولم يرجع يكون ذلك زاجرا لباقي الجند عن أن يأتوا بمثل فعلته فينالهم العقاب" [1] وأمّا عن الرابط الحجاجي (أو) الثانية فقد جاء للتقسيم والاختيار بين العذاب والذبح وبين الإتيان بالبرهان المبين حيث " أفادة تحقيق أنه لا منجى له من العقاب إلا أن يأتي بحجة تبرر غيابه، لأن سياق تلك الجملة يفيد أن مضمونها حصول العقوبة[2]، ونستنتج أنه لما كان عقاب الهدهد مؤكدا في خطاب سيدنا سليمان اقتضى تأكيد المخرج منه الإتيان بحجة بيّنة تمثل نتيجة لقول سيدنا سليمان، وهي الإحاطة بعلم لم يحط به سيدنا سليمان وهو أمر ملكة سبأ.

٣- العوامل الحجاجية في القصة:

تعرف العوامل الحجاجية أنها لا تربط بين متغيرات حجاجية(أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج) لكونها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما وتتمثل في: كاد، ربما، قليلا، ما... إلا، وجل أدوات القصر.[3]

---

(١) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٩، الدار التونسية للنشر، مرجع سابق، ص ٢٤٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٤٧.

(٣) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص ٢٧.

- **العامل إن، وألاّ**

العامل الحجاجي "إن" يربط أحد الجملتين بالأخرى على أن تكون الأولى شرطا والثانية جزاء الشرط يتعلق وقوعها بالأولى لتعليق حصول مضمون جملة بحصول مضمون جملة أقوى[1]، حيث نجد العامل الحجاجي(إن) في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) ﴾ النمل [٢٣-٣٥]

ابتدأت الملكة بلقيس كلامها بعامل حجاجي (إن) لتقنع به أهل مشورتها بقضية سيدنا سليمان وايقاظ أفهامهم إلى التدبر في مغز قولها والتأكيد بالرابط الحجاجي (إنّ) في حجتين: إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمان الرحيم، فإن هذا الخطاب إن دل فإنما يدل على اهتمام الملكة بمرسل الكتاب وهو سيدنا سليمان وبما تضمنه الكتاب اهتمامًا كبيرًا.

وفي هذا يقول إبن عاشور:" وتكرار حرف إن بعد واو العطف إيماء إلى اختلاف المعطوف والمعطوف عليه بأن المراد بالمعطوف عليه ذاتُ الكتاب والمراد بالمعطوف معناه وما اشتمل عليه كما تقول إن فلانا لحسن الطلعة وإنه لزكي وهذا من خصوصيات إعادة العامل بعد حرف العطف مع إغناء حرف العطف عن ذكر العامل"[2]

وإذا تأملنا الآيات جيدا فإننا سنصل إلى نتيجة مفادها: أن إضافة أداة التوكيد في الخطاب أضفى قيمة حجاجية وقوة إقناعية للخطاب ما جعل السّامع في حالة تبكيت واستسلام، وبالتالي حصول الإقناع من الملكة وقومها ليؤمنوا بهذا الكتاب الكريم.

وكذلك نجد في خطاب سيدنا سليمان الذي أرسله للملكة عامل حجاجي آخر قال تعالى: ﴿ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) ﴾ النمل [٣١]

---

(١) محمود سعد، حروف المعاني مرجع سابق، ص ٣٥٤.

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٩، مرجع سابق، ص٢٥٩.

- فالرابط الحجاجي "ألاّ" حرف تحضيض مركبة من أن الناصبة ولا النافية[1]

والمقصود به هنا تحذير ملكة سبأ من أن تحاول الترفع على الخضوع إليه، ولا بد من تحقيق الطاعة له كما هو شأن الملوك الأخرى، وقد كان خطاب سيدنا سليمان وجيزًا ليتقصر للملكة على المقصود وحصول فهمه بالشكل الدقيق وحصول الإذعان.

وكان مضمون هذا الخطاب في احتوائه على الحجة (أن الخطاب من سليمان، ألّا تعلوا عليا)، وكان الرابط الحجاجي يتمثل في: أن، ألا، ليقود الملك نحو نتيجة تلك الحجج وهي الاستسلام لكتاب سليمان والإيمان بدعوته.

ونجد الرباط الحجاجي "ألا" أيضا في موضوع إنكار سجود الملكة وقومها لغير الله لأن الله هو الحقيق بالسجود قَال تَعَالَى: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥)﴾ النمل [٢٥]

إن العامل الحجاجي الظاهر في خطاب القصة هو (ألا) الذي يحمل معنى هلاّ وجعل يسجدوا مركبا من ياء النداء المستعملة تأكيدا للتنبيه وفعل أمر السجود.[2] أي لا يعرفون سبيل الحق التي هي إخلاص السجود لله وحده دون ما خلق من الكواكب وغيرها، ويظهر ما يخفيه العباد وما يعلنونه من الأقوال والأفعال [3]، ونوضح الحجج والرابط الحجاجي بالشكل الموالي:

الحجة1: الله يخرج الخبء

الحجة 2: الله يعلم ما تخفون وما تعلنون

الرابط الحجاجي: ألّا

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة،٢٠٠٦، ص١٠٦٧.

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٩، مرجع سابق، ص٢٥٦.

(٣) وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مرجع سابق، ص ٣١٣.

النتيجة: قوم الملكة في ضلال

- **عاملية النفي لم، لا:**

ومن أمثلة عامل النفي قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) ﴾ النمل [١٨]

فهذه الآية تتضمن أقوال النفي التي جاءت على خطاب النمل وقد نزل النمل منزلة العقلاء في خطابه من خلال الاحتواء على العامل الحجاجي(لا) الذي يوجه السامع وهو مجتمع النمل لنتيجة محددة وهي: الحذر من سليمان وجنده. فجاءت الحجج كما يلي:

الحجة ١: أيها النمل ادخلوا مساكنكم

الحجة ٢: لا يحكمنكم سليمان وجنوده

الرابط الحجاجي: لا

النتيجة: الحذر من الجنود والعودة لبيوتهم

خاطبت النملة مجتمع النمل بالعامل الحجاجي(لا) مكررة بين الحجج لتؤكد النتيجة وهي التحذير لأن المحذر من شيء مفزع يأتي بجمل متعددة التحذير من فرط المخافة والنهي عن حطم سليمان إياهن [١]، فخطاب النملة يدل على أنها تبحث عن مصلحة غيرها، فضلا عن إحساسها بعظمة عصمة سيدنا سليمان من الظلم والإيذاء فهي تربط فعل التحطيم بعدم الشعور ، المعنى؛ أن سليمان وجنوده لو أنهم شعروا بنا ما كان هذا فعلهم.

(١) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٩، مرجع سابق، ص ٢٤٢.

الخاتمة

وقد ختمنا الدّراسة بخاتمة ضمت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث في مختلف عناصر المدخلة،

وهذه أهمّ النتائج المتوصّل إليها:

- **إن الخطاب القصصي القرآني خطاب تكليف لا سرد وإعلان وإخبار فقط، لكونه جزءًا من الرسالة التي بعثها الله وحياً وقصداً من عنده والتي تضمنت وصايا الله للإنسان للعمل بها.**
- **مصدر القصة القرآنية هو القرآن الكريم نفسه فهي من وحي الله تبارك وتعالى لذا فهي قصة هادفة وأهدافها لا ينفصل عن أهداف العقيدة والشريعة.**
- **موضوع القصة القرآنية هو شكر الله على النعم فالانسان المستخلف في الأرض ينبغي أن يكون عبدا شكورا.**
- **ساهمت العوامل والروابط الحجاجية في قصة سليدنا سليمان في توضيح وبيان الخطاب وفهمه بالوجه المقصود سواء في الحوار الذي دار بين سيدنا سليمان وبين النمل، أو بينه وبين الهدهد أو مع مكلة سبأ أو الجان الذي سخّر له، وكذلك في محاولة ملكة سبأ التأثير في قومها وإقناعهم بكتاب موسى والاستسلام معها.**
- **لقد كان للروابط الحجاجية في القصة القرآنية أثرا في ترتيب الحجج وإظهارها لتوجيه السامع نحو النتيجة المرجوة في أثناء التحاجج بين شخصيات القصة.**
- **إن الروابط والعوامل الحجاجية ساعدت على فهم القصة من طرف السامع الكوني عبر مختلف العصور، وليس على السامع الخاص فقط.**
- **تعددت الروابط والعوامل الحجاجية في القصة لتبين قوة وإعجاز الخطاب القرآني وأساليبه البديعة في إقناع خصومه وزيادة تأييد للمؤمين به.**

- إن فحص ومدارسة قصة سيدنا سليمان-عليه السلام- حجاجيا أفادنا في تدبر الخطاب القرآني وفهم أسس التواصل المقنع.
- القصة القرآنية تفرض تواصلًا خاصًا بين الشخصيات بالاعتماد على جملة من الروابط والعوامل الحجاجيةالتي تنقسم حسب غرضها الحجاجي إلى روابط مدرجة للحجج وأخرى مدرجة للنتائج فالأولى يتمثل دورها في إيراد الحجة، والثانية في إيراد النتيجة.
- تعتمد القصة بشكل كبير على العوامل الحجاجية والتي لا تربط بين الحجة والنتيجة بل تقيد الجملة التي بعدها استنادًا على أساليب لغوية ، كالتوكيد، ألا، وغيرها، خدمة لنتيجة الانقياد والطاعة لأمر سليمان.
- يعتبر الحجاج اللغوي مقومًا أساسيًا في القصة القرآنية فلا قصة بلا آليات وتقنيات حجاجية، لما تحققه من إقناع وتأثير.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص

-أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، منتديات سور الأزبكية،ط١، ٢٠٠٦.

-البقلاني، إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٩٨.

-الزركشي، البرهان في علوم القرآن،تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة،٢٠٠٦، ص١٠٦٧.

-صلاح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ج١، دار القلم، دمشق، الدار الشامية بيروت، ط١، ١٩٩٨.

-عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبو علاء الدين للنشر والتوزيع، تونس، ط١، ٢٠١١.

-عفيف عبد الفتاح طباره، روح الدين الإسلامي عرض تحليل أصول الإسلام وآدابه وأحكامه تحت ضوء العلم والفلسفة، دار العلم للملايين، لبنان ط ١٩٧٧،١٤.

-فضل حسين عباس، قصص القرآن الكريم، دار النفائس، الأردن، ط٣، ٢٠١٠.

-محمد أحمد محمد أعبد، نفحات من علوم القرآن، دار السلام، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٥.

-محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٩، الدار التونسية للنشر.

-محمد شحرور، القصص القرآني قراءة معاصرة، مدخل إلى القصص وقصة آدم، مج ١، مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١٠.

-محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم في التعريف بالقرآن، مركز دراسات الوحدة العربية، ج١، بيروت.

-محمود سعد، حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه، د، ط، د.ت.

-مناع القطان، مباحث في علوم القرآن ، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧، ١٩٩٥.

-وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، آفاق معرفة متجددة، دار الفكر ، دمشق،ط ١٠، ٢٠٠٩.